الكويت

اشتهر اسم الكويت قبل الحرب العظمى بسنوات؛ بسبب النزاع السياسي بين بريطانيا وألمانيا على السكة الحديدية التي كان الألمان يريدون أن تنتهي إلى الكويت، والبريطانيون يحاولون إحباط المشروع أو وقفه عند حدود ولاية البصرة؛ صيانة لنفوذهم في الخليج العربي، ودفاعاً عن إحدى طرق الهند. وإن مركز الكويت التجاري الحربي، وقربها من مجرى الدجلة والفرات، واتصالها الوثيق بنجد جعل لها مركزاً ممتازاً ذا أهمية خاصة.

حدود الإمارة

تكون إمارة الكويت[1] نصف دائرة على الساحل الغربي من رأس الخليج العربي، وتقع جنوبي مملكة العراق، وشمالى مقاطعة الاحساء التابعة للدولة العربية السعودية، تمتد حدودها الشمالية من أم قَصْر رلى سَفَوَان مارة قرب جبل سَنَام إلى الباطن. أما الحدود الغربية فتتبع الباطن إلى قرب الحَفْر، حيث تتصل بالحدود العراقية والنجدية؛ ومن هنالك تتجه إلى الجنوب الغربي حيث تتصل أحياناً بالحدود النجدية يبلغ طولها من الشمال إلى الجنوب نحو ١٨٠ ميلا؛ ومن الشرق للغرب نحو ٢٥ ميلاً.

الوصف الطبيعي

تربة القسم الشمالي من خليج الكويت خصبة، وتربة القسم الجنوبي بعضها رملي وبعضها طيني؛ وهي على العموم مقفرة خالية من الزراعة، يوجد بها بعض التلال مثل تلال واره في جنوب مدينة الكَويت، وتبعد عنها نحو ٣٥،

(١) في اجتماع بالعقير ١٩٢١ بين السلطان عبد العزيز (الملك عبدالعزيز) والسير برسي كوتس عينت حدود الكويت ونجد والمنطقة المحايدة بينهما .

ميلا، وتلال مَنَاقِيش في غرب مدينة الكويت، تبعد عنها نحو ٢٥ ميلا.

وليس بمنطقة الكويت ماء جار ولكن بها آبار مبعثرة في الصحراء يبلغ عمقها ٢٠ قدماً، ولكنها ضاربة إلى الملوحة؛ وربما كانت منطقة الجَهْرَة هي أغزر المناطق مياها.

وأهم أشجار الكويت السدر والنخيل، وهناك أشجار متنوعة تستعمل للوقود ولمرعى الإبل، أما الأعشاب فتجود إذا جاد المطر.

وأما الحيوانات فقليلة في الكويت، ويوجد منها الذئب والثعلب والغزال والأرنب.

الجو

جو الكويت على العموم معْتدل، يميل إلى البرودة إذا هبت الرياح الشمالية الغربية؛ أما الصيف فيخفف وطأته نسيم البحر وبرودة الصحراء المجاورة السريعة ليلا، وأعظم درجة للحرارة هي ١١٤ْف، وأقل درجة هي ٣٥ْ، وتشتد الحرارة من مايو إلى نوفمبر، والبرودة من ديسمبر إلى فبراير.

أما المطر فقليل في الكويت، وقد يجود بعض السنين فتحضر الأرض، وينعم البدو، ويخرج الأهالي للبر استجماماً للراحة واستمتاعاً بالخضرة.

السكان

يبلغ سكان الكويت الآن نحو ٢٠٠٠ ألفاً، يسكنون - عدا عمال النفط- مدينة الكويت، ومنطقة الكويت التي تبلغ مساحتها نحو عشرين ألف ميل مربع قاحلة، يسكنها عدد قليل من السكان فيما وراء المدينة.

أما عشائر الكويت فقد كانوا قبل سنة ١٩٢١ يبلغون نحو ١٥ ألفاً، وقد

زي من أزياء النساء في مكة

obeikandl.com

الكويت القديمة

obeikandl.com

التحق أكثرهم بنجد بعد بناء الهجـر وذيوع التعاليم الدينية. وتنتمي العشائر إلى قبـائل العوَازم ورَّاشايدة، وقليل من الصُّلَبـة، وبنى هاجر، والعِجـمان ، وبنى خالد، ومُطَير؛ وقد كان النجديون من حـضرٍ وبدو يقصدون الكويت لبيع الغنم والسمن والصـوف وسائر الحاصلات النجديـة، وشراء جميع حاجـاتهم منها، ولكن الخلف دبَّ بين البلدين منـذ سنة ١٣٣٩هـ (١٩٢١م) لأسبـاب اقتصـادية جعلت ملك البلاد العربية السعودية يأمر رعاياه بمقاطعة الكويت، ولكن أعيدت العلاقـات الاقتصادية والروابط الودية القـديمة بين البلدين سنة ١٩٤٠ وهي الآن تحتل مكاناً مرموقـاً بعد اكتشاف الزيت في أراضيها، وقـد تضاعف عدد سكانها بسبب كثرة الوافدين عليها حتى بلغ مائتي ألف ألفاً أو يزيد.

الصناعة والتجارة

البلاد الكويتية غير زراعية ما عدا الجَعّـرة التي سيأتي وصفها فيما بعد، وأهم ما يشتغل به الكسـان هو صيد الأسماك، وأجود الأسمـاك ما يسمى بالزُّبَيْدِى ، وهو يصطاد بالشبك الطويل، وكثير من الأسـماك أيضاً تصطاد بوساطة مايسمى بالحُظور وهو عـبـارة عن حواجـز من القـصب تنصل على السـاحل، تدخلهـا الأسمـاك في وقت المد فإذا جـاء الجزر اسـتطاع الصيادون إمـساكـها بسـهولة- وطريقة الحظور منتشرة على طول الساحل البحري.

وقد كان للكويت شأن يذكر في الغـوص على اللؤلؤ حتى سنة ١٩٢٢، فقد بلغ عدد العمـال ١٠٫٠٠٠ في سنى الرخاء، كما بلغ عدد السفن التي تـستعمل في الغوص نحو ٨٠٠، ولكن عدد السفن والعمال نقص كثيراً في عشر السنوات الأخيرة، بـسبب التقاطع التـجاري بين الكويت ونجد من جهـة، وللكساد الذي حل بتجارة اللؤلؤ، ولا أظن عدد العمال الآن يبلغ ثلاثة آلاف.

وصناعة بنا ء السفن الشراعية من الصناعات التي اشتهرت بها الكويت، وقد نافستها البحرين في السنوات الأخيرة، والخشب والحبال اللازمة لبناء السفن تجلب كلها من الهند ولاسيما من إقليم مليبار. وأكثر السلع التجارية تنقل بالبواخر، غير أن السفن الشراعية لا تزال تقوم بقسط كبير من النقل بين الكويت والبصرة، وبينها وبين السواحل العربية الأخرى.

وأهم هذه السفن البَغْلَة ، والبُوم، والشُّوعِى، والسنبوك وتحمل البغلة ٢٥٠٠ طرد بضاعة من التمر أو بن وأكياس الأرز وتحمل اليوم عادة نحواً من ٥٠٠-٦٠٠ طرد أيضاً ؛ وسفن الكويت الآن من هذا النوع.

وقد بلغت قيمة تجارة الكويت قبل الحرب العظمى ٥٧٠٥٥٨ جنيها، منه مبلغ ٣٧٠٨١٧ جنيهاً للوارد والباقي للصادر، وللهند منه النصيب الأكبر والباقي موزع على جهات مختلفة.

وأهم الواردات: المنسوجات القطنية والحريرية، والأفَلِية، والسكر والبن،والشاي، والحبال التي تستخدم في السفن، والزيوت والدخان، والشعير، والماء ويجلب إليها بالسفن الشراعية من شط العرب، التمر، والأخشاب.

أما الصادرات فهي : اللؤلؤ، والسمن من البادية، والخيول؛ وقد قلّت الأنواع الأخيرة في السنوات الأخيرة: الجلود ، والصوف، والتمر.

وقد أسست الإدارة الجمركية في عهد الشيخ مبارك الصبَّاح ، فكانت مورداً للحكومة لم يكن موجوداً من قبل؛ وقد زاد هذا المورد زيادة عظيمة أثناء الحرب العالمية الأولى، غير أنه نقص في أثناء المقاطعة التجارية التي وضعها ملك نجد على جارته الكويت وقد عادت الحالة الاقتصادية إلى ما كانت عليه بعد زوال

الجفاء بين البلدين وبعد العثور على البترول في صحاريها.

وقد أسس في الكويت أثناء الحرب العالمية الأولى، إدارة للبريد والتلغراف، فارتبطت الكويت بالعالم الخارجي، وأصبحت تجارتها تتبع الحركة التجارية العالمية صعوداً وهبوطاً.

مقاطعات الكويت

وليست المقاطعات التي سنذكرها فيما يلي أماكن مسكون كما يتبادر إلى ذهن القارئ، بل هي صحارى مسكونة بالذئاب أحياناً، وبالغزلان أحياناً أخرى؛ ولولا أن الإفرنج عنوا بكتابة أسمائها على الخرائط المصورة ما اهتممنا بها. وأكثر هذه المقاطعات مَراعٍ طيّبة إذ جاد المطر، وأشهر هذه المقاطعات في الشمال: هي الباطِن - في الزاوية الشمالية، وهي قسم من الوادي العظيم المسمى بهذا الاسم، وهي ملتقى الحدود العراقية والنجدية، والشق، والشُّقَيق، واليَاح، وقَرْعَة، والمَرْو، والزَّجْلة. وهذه كلها مقاطعات قفراء .

والزَّوْر في الجهة الشمالية من خليج الكويت ، وهي عبارة عن تلال تمتد من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي قرب الجَهْرة.

وكَبعد ، قَرْعة، قَاره، العَدَان، الهَزيم، الدِّبْدِبَج، أماكن قفراء أيضاً، ينزلها البدو إذا جاد المطر وقد غير البترول أكثر هذه المنطاق فأسست المدن والموانى لتصدير البترول .

ولانريد أن نطيل الكلام بذكر باقي المقاطعات أو الآبار التي يردها البدو، التي تعد من الكويت، لأن ذلك يسوقنا إلى التطويل ويخرجنا من الغرض الأصلي من الكتاب.

جزر الكويت

١- بُوبيْان :

في الزاوية الشمالية الغربية، وهي جزيرة خالية من السكان، وقد كانت مثار نزاع بين شيخ الكويت والترك في سنة ١٩٠٢؛ ويسكنها في الصيف أفراد من العوازم لصيد الأسماك بالحظور.

٢- فِيلكه :

وتنطق كافها شيناً شأن أهل الكويت في النطق الكاف. في الجهة الشرقية من خليج ، وبعد عن مدينة الكويت نحو ١٥ ميلاً ، والمسكون من الجزيرة هو الاحسل الغربي، وباقي الجزيرة يكاد يكون خالياً من السكان.

وسكان الجزيرة بعضهم عرب خلص، وأكثرهم يغلب عليهم العنصر الفارسي، وهم يشتغلون بصيد الأسماك واستخراج اللؤلؤ، ويزرع بالجزيرة الحنطة والشعير، والخضر، والماء كثير بالجزيرة، قريب من سطح الأرض.

٣- كُبَّر :

جزيرة غير آهلة بالسكان، تبعد عن الساحل نحو ٢٠ ميلا.

وبقرب الكويت بندر الشُّوَيْخ وهو أفضل مرسى للسفن في الكويت، وهنالك جزر أخرى غير مسكونة تابعة للكويت لا أهمية لها.

بلدان الكويت

١- مدينة الكُوَيت :

هي عاصمة الإمارة، على الساحل الجنوبي من خليج الكويت في الجنوب

الشـرقي من البصـرة، وتبـعد عنهـا نحـو ٨٠ ميـلا، وفي الشـمال الغـربي من البحرين، وتبـعد عنها نحو ٢٨٠مـيلا؛ تمتد على الساحل نحـو ثلاثة أميال، مع عرض يختلف مابين ربع ميل، وميل ونصف .

وأرض الكويت غير مزروعة، فلا ترى فيها ما تراه في الاحساء من البساتين والخضـرة لقلة المياه، وبسبب نمو السكان في الخـمسين سنة الأخيرة تُركت مـياه الآبار التي كان يعـتمد عليهـا السكان وأخذ الناس ينقلون حاجـتهم من الماء من شط العرب، وقد شيدت الحكومة الكويتية «كنداسة» كـبيرة لضمان حاجتها من الماء كمـا أنها لاتزال تسـتعين بأهل الخبـرة لتأمين حاجـتهـا من الماء إما من الآبار الجوفية أو من شط العرب.

ومـبانـي مدينة الكـويت كسـائر المبـاني العـربيـة، من الطين أو اللبن أو من الصخور البـحرية. وأحسن المباني قـصر الشيخ، وهو مبنى من الآجُـر، ومقام على ساحل في وسط البلد تقريباً.

وسوق الكويت في منتـصف البلد تقريباً وليس فيه مـا يستلفت النظر من فن البناء أو جمـال العمـارة، وقد كان إلى عـهد قـريب بالكويت مستـشفى اسـمه محسنو الأمـريكان، ومؤسسة للتتبـشير. وقد أدى هذا المستـشفى للبلد وللبدو الضاربين حول الكويت خدمات عظيمة، أما التبشير فإنه قد فشل فشلاً عظيماً لا في الكويت وحدها، بل في سائر الشرق الأدنى . وقد كـان بها أيضاً مستوصف انجليزي يؤدي مـهمته الخـيرية على أتم وجه، وبها مـدرستان نظاميـتان، وبضع مدارس صـغيـرة تشبـه الكتاتيب في طريقـة التعليم. هـذا ما كان بالأمـس قبل اكتشاف الزيت، أمـا اليوم فإن الكويت تزهو على البلاد العربية بكثـرة مدارسها ومستشفياتها التي تقوم بأعظم الخدمات الإنسانية لكل من يقصدها.

وبالكويت نحو خمسين مسجداً، وأهمها ثلاثة مساجد، وهي تميل إلى البساطة في بنائها وأثاثها، وأكثر السكان يسكنون في المدينة، وهم ينتمون إلى القبائل العربي الشهيرة، وبجانب هؤلاء يوجد ٨٠٠٠ من أصل فارسي، وطرق الكويت ضيقة كثيرة التعاريج ، وقد كثر الوافدون على الكويت من البلاد المجاورة: إيران والعراق وفلسطين المنكوبة والجمهورية العربية المتحدة. وأهم الطرق هو الطريق الذي يبتدئ من قصر الشيخ على ساحل البحر؛ مخترقا السوق إلى خارج البلدة، وقد أسست للبلدة بلدية من خمس عشرة سنة لتنظيفها وتنظيمها وإنارتها، وقد أدت خدمات جليلة للبلدة من هذه المدة القصيرة.

وفي العشر سنوات الأخيرة اختطت الكويت تخطيطاً جديداً كان يطغى على المدينة القديمة وربما غدت الكويت في طليعة البلاد العربية تقدما بما حباها الله من البترول الغزير.

٢- الجَهْرَة :

قريبة كبيرة على طراز البلدان العربية، قريبة من خليج الكويت، وبعد عن مدينة الكويت بثمانية عشر ميلا بالطريق الغربي، وهي أهم قريبة زراعية بالأراضي الكويتية، وهي محطة للقوافل القاصدة البصرة ونجد من طريق الحفر، وموقعها مرتفع يطل على البحر ، فترى جميع السفن التي تمخر خليج الكويت.

يبلغ عدد سكانها نحو ٦٠٠ نسمة يشتغلون جميعاً بالزراعة، غير أن العدد يزيد عادة في الصيف بما ينزل حولها من البدو.

وقد كانت الجهرة [١] قبل الإسلام مأهولة بالسكان، غاصة بهم، ولاتزال أطلال البلاد القديمة موجودة تحت الأنقاض، وكثيراً ما يعثر على النقود القديمة،

(١) انظر تقرير حكومة الهند سنة ١٨٥٤، ولمع الشهاب النسخة الخطية بدار الكتب البريطانية.

وبعض الآثار عند حفر الآبار. وهذه التلال القائمة على أنقاض البلاد القديمة تمتد إلى مسافة فرسخين من الشمال للجنوب، وفرسخ ونصف من الشرق للغرب.

وإلى الشمال الشرقي من الجهرة على بعد أربعة عشر فرسخاً في اتجاه البحر توجد الصُّبِيَّة، وكانت قديماً آهلة بالسكان[1] كما تدل عليه خرائبها، ويشتق اسمها كما يقال من الصابئة، ويقال إنها إحدى مدنهم التي بنيت بعد خراب بال، ويقال أيضاً إنها استمرت آهلة بالسكان والحضارة إلى زمن الخلفاء الأمويين، حيث تقهقرت منزلتها وهجرها سكانها، ويؤكد السكان أن بعض سكانها لا يزالون يعيشون في خروستان، ويقيم العرب في هذه المنطقة زمن الصيف لهوائها العليل.

خلاصة تاريخية

ليس للكويت تاريخ قديم معروف، ويرجح أن تاريخه لا يتجاوز الثلثمائة سنة. أما حكامها الحاليون آل صَبَاح، فتاريخهم في سكنى الكويت لايتجاوز سنة ١٧١٦م[2]، وهي السنة التي تحالف فيها الشيخ سليمان بن أحمد رئيس ال صباح، وخليفة بن محمد رئيس آل خليفة، وجابر العُتْبى رئيس الجَلاَهِمَة، وهم جميعاً ينحدرون من عنزة القبيلة الشهيرة المنتشرة في شمال نجد والعراق وسوريا، فاستخلصوا الكويت من الفرس وسكنوها، وسيأتي في الفصل الخاص بالبحرن ذكر انفصال ال خليفة عن الحلف، واستقلالهم بالزُّبَارة وحكم البحرين .

(١) لمع الشهاب.

(٢) ويروي الشيخ يوسف بن عيسى القناعي في كتيبه عن الكويت أن أول حاكم للكويت كان الأمير صباح وهو رأس العائلة وأن مبايعة الأهالي بالإمارة كان بين ١١١٠هـو ١١٣٠هـ ولكن الكويت كان يسكنها قبلهم قوم من البدو وصيادي الأسماك. ويروى ديكسون عن الشيخ عبد ا السالم الحاكم الحالي أن الصباح وحلفاءهم نزلوا حوالي ١٧١٠، وليس هناك أدلة كتابية لقطع الشك.

أما المكان الذي وفد منه هؤلاء الحلفاء، فيظن أنه كان قريباً من شط العرب في أم قصر، حيث كانوا يعملون هنالك لِلقَرْصَنَة ونهب السفن البحرية، فقد كان هذا العمل هو السائد في ذلك الوقت في الخليج العربي، وهو يشبه غزو القبائل بعضهم لبعض في البر .

وفي الخمسين سنة الأولى من تأسيسها نمت النلدة نمواً سريعاً في السكان وفي الثروة وفي الأهمية. وتمكن آل صباح وحلفاؤهم ومؤازروهم من القبائل المجاورة في تثبيت مركزهم وتقويته ضد بني خالد الذين كانت لهم السياد على جميع الشاطئ الشمالي الشرقي.

وقد زاد في تقدم الكويت وعمرانها استيلاء الفرس على البصرة سنة ١٧٧٦ فقد كان ذلك مدعاة لمهاجرة الكثيرين من السكان إلى الكويت والزّبارة وفي أثناء الاحتلال الفارسي تحولت تجارة البصرة الهندية مع بغداد وحلب وأزمير والآستانة إلى الكويت وما جاءت سنة ١٧٩٠م حتى أخذت الكويت تشارك باقي موانئ الخليج العرفي في التجارة؛ وقد ساعد على ذلك احتلال عرب بني عُتْبة البحرين سنة ١٧٨٣، فصارت البضائع ترد إلى الكويت من مسقط والهند والبحرين والقطيف.

وبعد استرداد الأتراك للبصرة انسحب عمال (الفابريكة البريطانية) فيها مؤقتاً إلى الكويت سنة ١٧٩٣م لقيام بعض المشاكل مع الموظفين الأتراك.

وفي هذا الوقت حاول السعوديون غزو الكويت والاستيلاء عليها، ففشلوا في كل محاولاتهم.

وفي سنة ١٨٣١ زار السائح Stocqucler الكويت، وهو يقول بأنه الأوربي الوحيد الذي زار هذه البقاع منذ أمد بعيد. ويقول إن المدينة في زمنه كانت تمتد

على الشاطئ نحو ميل، وتحوي نحو أربعة آلاف من السكان، وهو يظن أن الميناء ربما كانت استعملت أو اتخذت قاعدة للبرتغاليين، بالنسبة إلى مركز الميناء المطل على مصب نهر العرب، والتي يمكن اتخاذها قاعدة لمعاكسة التجارة التركية وتجارة البندقية مع الهند. ويقول إن المدينة في زمنه كانت تحكم بوساطة شيخ، وليس لديه أية قوة مسلحة، ؛ وكان يحصل ضريبة قدرها اثنان في المائة على جميع الواردات.

عندما وصل المصريون إلى شواطئ الخليج العربي في محاربتهم للسعوديين ١٨٣٨-٣٩ وضعوا مندوباً لهم في الكويت ، وكانت وظيفته سياسية. وكان شيخ الكويت في ذلك الوقت هو الشيخ جابر، الذي كان على صلات طيبة مع الحكومة البريطانية إلى أن توفى سنة ١٢٧٦، وقد خلفه ابنه الشيخ صباح، وفي أثناء حكمه قام الكولونيل «بيلي (paly) » سنة ١٨٦٥ برحلته الشهيرة من الكويت ليقابل حاكم نجد في الرياض؛ وهو أول من لاحظ مستقبل الكويت التجاري ويقول أإن الكويتين يعتبرون أحسن وأقدر بحارة بلاد الخليج العربي، وهم محل ثقة في أخلاقهم ومعاملاتهم. ومنذ خمسين سنة لم تكن ميناؤهم ومدينتهم شيئاً مذكوراً، والآن أصبحت أهم موانى الخليج الشمالي، ورئيسها له سمعة طيبة في الداخل والخارج،وإليه يرجع الفضل في حسن الإدارة الداخلية، والسياسة الحكيمة. فالضرائب المخفضة على الواردات، والجو الصحي، والسكان المتآخرون ،وحسن الميناء، وطرق المواصلات وقربها؛ كل هذه العوامل حولت كثيراً من المتاجر إلى الكويت، مما كان يرد بُو شِهر والبصرة[١].

وبالنظر إلى موقعها وحالتها السياسية كانت هذه الميناء هي المخرج البحري الوحيد لجبل شمر.

(١) خطبة الحكولونيل بيلي في الجميعة الجغرافية .

وقبل أن تمضي عـدة سنوات أخذت شركـة الملاحة البـريطانية British India Steam Navigation Com تجعـل ميناء الكويت احـدى موانئ الخليج التي تـعرج عليها بواخرها، فهذه الحركة أثارت غيـرة السلطات التركية، وجددت مخاوفهم من أن يكون تقـدم ميناء الكويت سـبباً في إنـقاص أهميـة البصـرة، وعليه فـقد عدلت الشركة عن جعل الكويت إحدى الموانئ التي تعرج عليها بواخرها، ولكن هذا العدول كـان إلى حين؛ فقد علمت بريطانيـا أن الروسيا تنوى إنشـاء محطة فحم هناك، والمساعي كانت تبذل لدى الباب العـالي للحصول على امتياز باسم الكويت، كمـا سعت لبناء سكة حديدية من البحـر الأبيض إلى الخليج العربي، هو مشروع لو تم لجعل للروس حقوقاً في مياه الكويت الساحلية.

واتقاءً لما يسـعى إليه الروس، عقـدت بريطانيا سنة ١٨٩٩م اتفاقـاً مع الشيخ مبـارك على منوال الذي عقدته بريطانيـا سنة ١٨٩١م مع سلطان مسقط، فـهذه الخطوة حـركت عـوامل الأتراك الذين اجـتـهـدوا في أن يثـبـتوا سـلطانهم في الكويت، ولكن الشيخ مبارك قاومهم، واستـمر محافظاً على حسن علاقاته مع بريطانيا.

وقد تميزت سنة ١٩١٠ بوصـول بعثة سكة حديد بغـداد إلى الكويت للبحث عن النقطة التي تنتهي إليها السكة الحديدية، ولولا معاهدة سنة ١٨٩٩ لكان لهذا الحادث تأثير كبير في تعريض مركز بريطانيا في الخليج العربي لخطر كبير.

وفي سنة ١٩٠٢-١٩٠٣ زار الكويت بعض الطرادات الروسية والـفرنسية، ولكن هذه الزيارة لم تؤثر في الحـالة المحلية كـما أنها لم تؤثر فـيما بين بـريطانيا والكويت من صلات.

وحكام الكويت الحاليون سـلالة جابر بن عبدا الملقب بجـابر الكبير، الذي

جاوز المائة ، وهم أبناء صَباح بن جابر بن عبدا .

واشتهر في أوائل هذا القرن من هذه العائلة الشيخ مبارك الصباح، فقد تَسَنّم هذا الأمير حكم الكويت على جثتي شقيقيه (محمد وجرَّاح) ٢٥ من ذي القعدة سنة ١٣١٣هـ -١٨٩٦م، فأثار بذلك نزاعاً داخلياً استمر نحو تسع سنوات، وقد عظم شأن الكويت في أيامه، وزاد عدد سكانها زيادة عظيمة؛ وفي أيامه خرج الأمير عبد العزيز بن سعود واستولى على الرياض، وغير مجرى تاريخ الجزيرة، كما سيأتي في تاريخ آل سعود.

كان الشيخ مبارك طويل القامة، أسمر البشرة، قوى الذاكرة، صلب الإرادة، مستبداً، طموحاً إلى نشر سلطانه ونفوذه على البلاد المجاورة ولكن الظروف لم تساعده. وقد اشتهر الشيخ مبارك بالتقلب وعدم الثبات على سياسة واحدة، فقد كان يساعد آل سعود لإضعاف نفوذ الرشيد وخضد شوكتهم، كما أنه كان يعمد أحياناً إلى تقوية صلاته بالرشيد خوفاً من توسع آل سعود ، وكان لا يعف عما في أيدي الناس؛ فقد كان يتوسل بأوهى الأسباب لفرض الضرائب على الناس وابتزاز أموالهم، ولكنه كان بجانب ذلك غيوراً على مصالح الكويت مدافعاً عنهم أينما حلوا ، وقد خرج في أخريات أيامه على تقاليد العرب والدين، فكان يجاهر بالمعصية حتى في رمضان ، مما جعل أهل الكويت يضجون منه .

لقد حاول الأتراك في سنة ١٨٩٧ أن يستولوا على الكويت، وينفوا الشيخ مباركاً إلى الآستانة، ولكنه أحبط هذا المشروع بما بذله من المال في البصرة وبغداد، غير أنه في سنة ١٨٩٨ أرسل إليه الأتراك وفداً مؤلفاً من كبار الموظفين وبعض أعيان البصرة على إحدى السفن الحربية القديمة لنقلة إلى الآستانة حيث

عين عضواً في مجلس شورى الدولة، فالتجأ إلى الإنجليز فأنقذوه من الأتراك، وأعلنوا حمايتهم على الكويت في ٢٣ يناير ١٨٩٩.

وقد أخبرني الشيخ مبارك والسيد رجب النقيب بهذه القصة للدلالة على قصر نظر الأتراك. وسعيهم الدائم لإضعاف العرب. مما اضطر هؤلاء إلى الالتجاء إلى الدول الأجنبية غير أن بريطانيا اضطرت إلى إعلان الحماية إبعاداً لكل نفوذ أجنبي على الكويت، نظراً لظهور الروس في الميدان.

واجه الشيخ مبارك في أوائل حكمه كثيراً من الصعاب التي يقيمها في وجهه أبناء شقيقه الشيخ محمد بن صباح وجرَّاح، والشيخ يوسف بن ابراهيم نصيرهما، فأوعز الأتراك إلى عبد العزيز بن الرشيد بمناوأة مبارك، فأخذَ يغير على أطراف الكويت، كما أخذ مبارك نفسه يغير على أطراف البقاع التابعة لأمير حايل، ففي سنة ١٩٠٠ غزا مبارك بعض جهات تابعة لعبد العزيز ال رشيد، وسلبهم آلافاً من الجمال، وفي خريف هذه السنة حاول مبارك أن يقتنص قافلة كبيرة إلى العراق، كانت مكلفة بإحضار مواد غذائية، وملابس وذخيرة لفصل الشتاء من السَّماوة، ولكنه فشل في ذلك. وفي ذي القعدة سنة ١٣١٨-١٧ مارس سنة ١٠٩١ كانت معركة الصَّريف؛ التي انكسر فيها مبارك نفسه بعد أن قتل فيها أخوه وأحد أولاده، كما قتل فيها عدد كبير من أهل الكويت وقد حاول ابن الرشيد في خريف هذه السنة أن يتقدم ويستولى على الكويت، ولكن الظروف الداخلية والخارجية لم تساعده على تنفيذ خطته، فالثورات الداخلية، وسياسة بريطانيا في الخليج قضت على هذه المحاولات، وقد استراح الشيخ مبارك بعد قتل عبد العزيز بن الرشيد سنة ١٩٠٥، وموت عدوه الألد الشيخ يوسف بن إبراهيم سنة ١٣٢٣ في السنة نفسها، فلم يَعُدْ له خصوم يؤبه لهم، وأصبح السيد المطاع في الكويت.

وفس سنة ١٩٠٣ زار الكويت اللورد كيرزون في رحلته إلى الخليج العربي، وعلى أثر هذه الزيارة عيبت الحكومة البريطانية وكيلا سياسياً للكويت، فاحتج الأتراك على هذا التعيين الماس بسيادتهم على الكويت، ولكن لم يكن له أي أثر.

وقد توفى الشيخ مبارك في مساء الأثنين ٢٠ محرم سنة ١٣٣٤-٢٩ نوفمبر سنة ١٩١٥، فتولى إمارة البلد بعده أكبر أبنائه الشيخ جابر بن مبارك الصباح، وقد اشتهر بطيب القلب وحب الخير، والرفق بالناس، فخفف الضرائب ، وأزال كثيراً منها مما فرضه أبوه، وحسن صلاته بابن سعود، وكان قد أصابها شيء من التصدع أواخر أيام مبارك.

وفي الخامسة من فبراير سنة ١٩١٧ توفى الشيخ جابر بن مبارك، فأسندت إمارة الكويت إلى أخيه الشيخ سالم بن مبارك.

كان الشيخ سالم شجاعاً يجيد الرماية وركوب الخيل، ملماً بشئ من الفقه وبعض قواعد النحو، وكان طبعه يميل إلى العناد والشدة، ولم يكن موفقاً في سياسته مع ابن سعود، ولا مع الحكومة البريطانية لظنه أنها كانت تمالئ ابن سعود عليه.

وقد اشتبك في معارك حربي مع الإخون النجديين كانت الغلبة فيها للإخوان، ففي حَمْض هاجم الدَّوِيش ومُطَير سنة ١٣٣٧هـ - سنة ١٩١٩م معسكر ابن صباح، واستولى على ما فيه من مال وذخيرة. سنة ٣٣٨هـ - سنة ١٩٢٠م هاجموا الجهرة وحاصروا الشيخ سالما فيها، وكادوا يقبضون عليه، وفي السنة التالية توفى الشيخ سالم بن مبارك (٢٧ فبراير ١٩٢١) ، فاختار الأهالي ابن أخيه الشيخ أحمد جابر، وهو رجل في غاية الذكاء يميل إلى الأناة والتبصر

obeikandl.com

الكويت الحديثة

في أعماله ، كما يميل إلى البساطة، وقد قابل الأهالي بدء حكمه بحماسة وارتياح، وفي أيامه ازدهرت الكويت بما أفاء ا عليها من الزيت الغزير، وقد وطد علاقاته مع نجد ومع أمراء الخليج عامة وهو محبوب من رعاياه ومن الحكام المجاورين.

وفي ٢٩ يناير ١٩٥٠ توفى الشيخ أحمد فتولى الإمارة ابن عمه الشيخ عبدا السالم.

لقد كانت العلاقات الاقتصادية بين نجد والكويت على أسوأ ما يكون بين البلدين واسمرت نحو عشرين سنة. وقد أثرت هذه الناحية الاقتصادية على مابين البلدين والعائلتين الحاكمتين من روابط تقليدية.

وفي محرم ١٣٥٩ - فبراير ١٩٤٠ أوفدني المرحرم الملك عبدالعزيز إلى الكويت لحل هذا النزاع الذي طال عليه الأمد. وقد حثني على بذل الجهد وجميع المساعي للوصول إلى اتفاق يضمن مصالح الفريقين المتجاورين والصديقين القديمين؛ والكويت لها في قلب الملك عبدالعزيز ذكرى ماثلة وأثر لا يزال وسكناها في صغره أصبحت قسما من تاريخه.

ومن جهة أخرى فإن الكويت وأهلها و،أمراءها تربطني بهم صلة ود لاتنفصم، فقد حانت الفرصة للقيام بواجب نحو أصدقائي ونحو مليكي المحترم.

وقد وفق ا الوصول إلى هذا الغرض، فبعد مفاوضات بيني وبين الوكيل السياسي بالكويت استمرت نحو أسبوعين أمضينا في ٢٦ محرم سنة ١٣٥٩ - ٥ مارس ١٩٤٠ ثلاثة اتفاقات هامة :

(١) معاهدة صداقة وحسن جوار.

(٢) معاهدة تجارية.

(٣) اتفاقية لتسليم المجرمين.

ويجب أن لا يفوتني وأنا أسجل هذه الحوادث للتاريخ التنويه بخدمات وحسن مساعي مندوبي الحكومة البريطانية في جدة والكويت وموظفي حكومة جلالة الملك عبدالعزيز، فإنهم في العشرين سنة الماضية ، قد خطوا في سبيل التفاه خطوات واسعة لولاها ما تمكنت من الوصول إلى الغاية المنشودة.

ولا شك أن الروح الطيبة التي كان دائما يمليها الملك عبد العزيز على مندوبيه كانت أكبر معين.

وفي شوال سنة ١٣٨٠ (أبريل ١٩٦١) دارت مباحثات بين مندوبي الحكومة العربية السعودية وبين مندوبي الكويت حول تحديد المنطقة المحايدة على الأرض وتحديد ملكية بعض الجزر والمياه المغمورة ومدى امتداد امتياز شركة شل الأخير. لقد كان هذا الموضوع موضع مفاوضات في لندن في أغسطس ١٩٥١ بين الأمير فيصل وبين الحكومة البريطانية ومع أن وجهات النظر بين الفريقين لم تكن بعيدة بل كانت متقاربة إلا أن الاختلاف على الحدود البرية كان بعيداً ولذا فلم يكتب لهذه المفاوضات النجاح وكذلك المفاوضات الأخيرة لم يكتب لها النجاح أيضاً.

وفي ٦ محرم سنة ١٣٨١ الموافق ١٩ يونيه ١٩٦١ تم الاتفاق بين الحكومة البريطانية والكويت على إلغاء الحماية البريطانية وإعلان استقلال الكويت وعقد معاهدة صداقة تحل محل المعاهدة الملغاة، وقا كان لهذا الإعلان صدى حصناً في جميع الأوساط العربي وعد ذلك أول خطوة في سبيل استقلال بعض المشيخات

الملك سعود والشيخ حمد بن عيسى آل خليفة

obeikandl.com

الأخرى في الخليج، ولكن ما كادت الفرحة تتم حتى سمعنا رئيس وزارة العراق في مؤتمره الصحفي الذي عقده في ٢٥ يونيه سنة ١٩٦١ يعلن أن الكويت جزء من العراق، وأن شيخ الكويت قائمقام عراقي، إلى غير ذلك من الادعاءات التي لا تقوم على سند تاريخي.

لقد حاولت تركيا عدة مرات أن ترسل بعض الموظفين الأتراك فلم يقبل الشيخ مبارك ذلك، وقد تمتعت الكويت باستقلالها الداخلي منذ تأسيسها، وكان شيوخها يتوارثون الإمارة بدون أي تدخل من تركيا أو العراق.

لقد كانت حكومة الكويت تقوم بمفاوضات مع حكومات العراق لمد قناة أو أنابيب من شط العرب وكات الحكومة العراقية بالطبع تفاوض الحكومة الكويتية باعتبارها حكومة مستقلة .

لقد طلبت الحكومة الكويتية الانضمام إلى الجامعة العربية كما طلبت الانضمام إلى الأمم المتحدة.

وقد أحدثت ادعاءات رئيس حكومة العراق بلبلة في الأفكار لا في الكويت فحسب بل في جميع الأوساط العربية.

وقد أحيل الموضوع إلى الجامعة العربية لمعالجته بالحكمة لا سيما بعد أن طلب شيخ الكويت من بريطانيا أن تدفع عنه اعتداء الحكومة العراقية ، وقد لبت الحكومة البريطانية طلب الشيخ فأرسلت قوة عسكرية على الحدود. ولكن تصريحات رئيس حكومة العراق المتكررة لم تترك مجالا لا طمئنان الكويت .

فطلبت من مجلس الجامعة أن يعدل رئيس الحكومة العراقي عن ادعاءاته، أو

(١) الجوف : هو المسمى قديما دومة الجندل .

تحل جنود عربية مـحل الجنود البريطانية حتى تحل الطمأنينـية محل البلبلة والقلق ولكن رئيس وزرارة العراق لايزال مـصراً عل موقـفه، وقد اتهم الدول العـربية التي ناصرت الكويت وبادرت بالاعتراف باستقلاله بخـدمة الاستعمار من حيث لانعلم.

ولكن الجامعة العربية بعد بحث طويل وصلت إلى اتفاق حسن، وهو أن تحل قوات رمـزية محل الـقوات البريـطانية لإدخـال الطمأنينة على شـعب الكويت وشيوخها، وقد ساهمت الحكومة العربية السعودية مساهمة عظيمة ووقف الملك سعود وقـفة تمثل الشهامـة والوفاء تذكرنا بموقف الأبطال السابقين، كـما وقفت الدول العربية الأخرى فوقفاً أنقذ مركز الجامعة العربية من التدهور.

اللهم اهدنا صراطاً سويا. وطهـر قلوبنا من الزيغ، وألِّف بين قلوبنا، وسدد خطانا، إنك نعم المولى ونعم النصير.

openkandl.com